العولمة .. خارطة سياسة دولية للهيمنة على العالم
(الوعي الفكري والثقافي والتقدم العلمي أنموذجا للتحدي)

د. علاء فاهم كامل(*)

المقدمة

على أثر انهيار الاتحاد السوفيتي وما تبعه من تفكك للمنظومة الاشتراكية تقدمت الولايات المتحدة الأمريكية لتعلن عن (نظام دولي جديد) هي قائدة له وما لبثت حتى أخذت تسوق مصطلح (العولمة) كاتجاه جديد في سياستها الدولية منطلقة من أهداف قوامها إضعاف دور النظم السياسية الوطنية والقومية والإقليمية ثم إلغاء دورها مستقبلاً كما يطال الأمر ليصيب الاقتصاد عبر سيطرة مركزية فضلاً عن تأثيراتها في الجوانب الاجتماعية والثقافية والفكرية وفقاً لما ذهب إليه وبشر به موظفو وسائل الإعلام في ترويج أفكارهم ومناهجهم وبرغم قدرة تلك الوسائل في التأثير على (حرية الرأي والتفكير) إلا أن المنطلقات الفكرية شيء وحقائق الأمور شيء آخر نظراً لما يكتنف الحالة من صعوبات ومعوقات وإشكاليات.

وعليه وفي ضوء الرؤية الفكرية والسياسية والتطلعات الاستراتيجية الامريكية التي تريد أن تسوق العالم الى سوقها كاتجاه جديد في السياسة الدولية عبر أمر منطلقه (العولمة) الذي حقيقة أمره وواقعية حدثه أنه يمثل حضارة الغرب الرأسمالي كامنة في منظومة الاستنارة والفكر المادي والعلمانية ... والتي يرى فيها المفكر العربي الدكتور عبد الوهاب المسيري أنها.. (ذات دلالة سلبية.. تتضمن قيما" مادية تنفي الخصوصية الإنسانية وتحاول أن تطرح رؤى تدور حول السوق أي تدور حول القيمة التي جوهرها الإنسان الاقتصادي)[1] كما تدور تلك القيمة كما نرى ونعتقد حول الإنسان الآلي وليس حول إنسانية الإنسان.. لذا فأن الأمر في شكله ومضمونه وظاهرية حاله

(*) كلية المأمون الجامعة.

[1] عبد الوهاب المسيري، ندوة الهوية في زمن العولمة ١٩٩٨، مجلة المسار، العدد (٢٤)، ١٩٩٩، ص٣٧.

وجوهرية واقع يمثل (تعاظم شيوع نمط الحياة الاستهلاكي الغربي وتعاظم آليات فرضه سياسياً واقتصادياً.. إعلامياً وعسكرياً.. فكرياً وثقافياً.. وأن عالمية أمرها تنطلق من مدى اتساع قدرتها على فرض هذا النمط على شعوب العالم وليس على أساس كونها واقعاً فعلياً يحيط بالشعوب والبلدان)[٢].

ولهذا فأن (طرح القضية على أساس أنها مجرد طرح حول المصالح الاقتصادية يمثل تغييباً لوعي الشعوب الإسلامية على وجه الخصوص باعتبار أن القضية لا تمثل سوى تنازع على المصالح في إطار المنظور المادي للوجود وهذا يخالف الغايات الإسلامية التي تتعدى الغايات المادية الاستهلاكية الى غايات أسمى تتواصل فيها الدنيا بالآخرة حيث أن أوليات المصالح الاقتصادية في الإسلام تتحدد تبعاً للغايات العقائدية المستهدفة في السعي الإنساني الى التطور الإسلامي)[٣].

أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في معرفة طبيعة السياسة الدولية وما أصابها من متغيرات نظرا لإنهيار الإتحاد السوفييتي وما تبعه من تفكك للمنظومة الإشتراكية، مما حدا بالولايات المتحدة الأمريكية أن تتقدم لتعلن عن نظام دولي جديد هي قائدة له عبر أمر (منطلقه العولمة) لترسم فيه خارطة سياسية دولية للهيمنة على العالم، فكريا وسياسيا، إقتصاديا وإجتماعيا، عسكريا وتقنيا، لذا بات أمر الإطلاع على حيثيات العولمة ومعطياتها وحالة مواجهتها وتحديها أمرا لابد منه.

هدف البحث

يهدف البحث إلى بيان طبيعة العولمة وأثرها في البيئة السياسية الدولية من حيث موازين القوى، حالة النظام السياسي، المكانة الآيديولوجية، الأهداف الآنية والمستقبلية بتعميم منطلقاتها الفكرية وفرض إرادتها الكونية.

---

[٢] محمد ابراهيم مبروك، عن عبد الوهاب المسيري، المصدر نفسه، ص٢٨.

[٣] محمد إبراهيم مبروك، مصدر سابق.

فرضية البحث

يقدم البحث في حيثيات أمره ومعطيات واقعه وبناءاً على ما شهدته الساحة السياسية الدولية من متغيرات آلت القوة الدولية فيه حيال الولايات المتحدة الأمريكية لبيان استراتيجية الإدارة الأمريكية وهيمنتها على المجتمع الدولي. وتلك حقيقة لابد من الوقوف عندها وسبر غورها وصولا إلى سبل مواجهتها وآلية تحديها.

هيكلية البحث

يسعى الباحث من خلال قراءته لواقع السياسة الدولية وما يكتنفها من متغيرات أثرت بدورها على موازين القوى أن يتلمس الإحاطة بالبحث من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأول: المفاهيم والأطر الفكرية لموضوعة العولمة.

المبحث الثاني: تحديات ومحددات العولمة.

المبحث الثالث: الوعي الفكري والثقافي والتقدم العلمي آزاء العولمة.

المبحث الأول: المفاهيم والأطر الفكرية لموضوعة العولمة

المطلب الاول: السياق التاريخي لظهور العولمة

يمكن تتبع جذور العولمة الحديثة إلى ما قبل التاريخ، حيث أن التوسع الإقليمي لأسلافنا في جميع القارات الخمس كان عاملا رئيسا في العولمة، كما أن تقدم القطاع الزراعي ساهم في العولمة عن طريق منح نمط حياة مستقرة للغالبية العظمى من السكان، لكن وبالرغم من ذلك فإن العولمة فشلت في التوسع سريعا وذلك لبعد المسافة وعدم توفر التكنولوجيا. وهنالك من يرى أن العولمة المعاصرة ظهرت في أواسط القرن التاسع عشر بسبب زيادة رأس المال وقوة العمل و نقصان تكلفة النقل وهذا ما ساهم في جعل العالم أصغر[٤].

أما توماس .ل فريدمان[*] فقد قسم تاريخ العولمة إلى ثلاثة أقسام وهي: العولمة الأولى (١٤٩٢-١٨٠٠)، والعولمة الثانية (١٨٠٠-٢٠٠٠)، والعولمة الثالثة (٢٠٠٠-

[٤] ويكيبيديا – الموسوعة الحرة.

[*] صحفي وكاتب أمريكي، عمل مراسل للبيت الأبيض لصحيفة نيويورك تايمز.

الوقت الحاضر)، وأوضح بأن العولمة الأولى هي عولمة الدول، أما العولمة الثانية فتشمل الشركات، بينما تشمل العولمة الثالثة عولمة الأفراد.

على أنّ النشأة التاريخيّة للعولمة ارتبطت مع كلٍّ من عالَمي الاقتصاد والسياسة؛ إذ بدأ مفهوم رأس المال بالتطوّر مع زيادة الحركات التجاريّة التي ساهمت في الحدّ من العزلة الاقتصاديّة عند الدول[٥]، أمّا الظهور الفعليّ للعولمة فيعود إلى القرن الرابع عشر للميلاد مع انتشار الشركات متعددة القوميات في مناطق أوروبا الغربيّة، ويعدُّ ظهور الثورة الصناعيّة أكبر تجلٍّ لظاهرة العولمة؛ بسبب انتشار الشركات المهتمة بالصناعات التحويليّة التي أصبحت تسيطر على موارد العالم[٦].

وقد شهد النمو التجاريّ خلال فترة الحرب العالميّة الأولى تطوراً سريعاً وقد إستمر إلا أنه تراجع في عام ١٩٢٩م نتيجة الأزمة الاقتصاديّة (الكساد العظيم) في ذلك الوقت، ولاحقاً بدأ الأكاديميون والباحثون بشأن العولمة في الفترة ما بعد الحرب العالميّة الثانيّة، وظهرت عنها هيكليّة عالميّة جديدة في ظلِّ تأثير النظامَين الاشتراكيّ الشيوعيّ الشرقيّ، والرأسماليّ الليبراليّ الغربي، ممّا أدى إلى ظهور ما تُعرف بالحرب الباردة التي دامت ما يقارب ٤٠ سنة.

ويذهب إسماعيل صبري(*) ليؤكد تلك الحقيقة بالقول: "نشأت ظاهرة الكوكبة (العولمة) وتنامت في النصف الثاني من القرن العشرين، وهي حالياً في أوج الحركة فلا يكاد يمر يوم واحد دون أن نسمع أو نقرأ عن اندماج شركات كبرى، أو انتزاع شركة السيطرة على شركة ثانية"[٧].

إن الدعوة إلى إقامة حكومة عالمية، ونظام مالي عالمي موحد والتخلص من السيادة القومية بدأت في الخطاب السياسي الغربي منذ فترة طويلة فهذا هتلر يقول في خطابه

---

[٥] د. بركات مراد، ظاهرة العولمة (رؤية نقدية). مكان النشر وسنة الطبع بلا.

[٦] الظروف التاريخية لظهور العولمة، الآكاديمية العربية البريطانية للتعليم العالي.

(*) من الرواد الإقتصاديين في مصر، يعد رائد مدرسة في التفكير الإقتصادي، تلك المدرسة التي ترى الموائمة بين حقوق الفرد وحقوق المجتمع لتحقيق التنمية الإقتصادية والعمران البشري، إعتمادا على الذات والقدرات والموارد الوطنية تجنبا لكل أنواع التبعية.

[٧] العولمة والاقتصاد والتنمية العربية "عن مجلة "فكر ونقد"، العدد السابع، مكان النشر وسنة الطبع بلا.

أمام الرايخ الثالث: "سوف تستخدم الاشتراكية الدولية ثورتها لإقامة نظام عالمي جديد" وفي كتابات الطبقة المستنيرة عام 1780: "من الضروري أن نقيم إمبراطورية عالمية تحكم العالم كله ".

وجاء في إعلان حقوق الإنسان الثاني عام ١٩٧٣: "إننا نأسف بشدة لتقسيم الجنس البشري على أسس قومية . لقد وصلنا إلى نقطة تحول في التاريخ البشري حيث يكون أحسن اختيار هو تجاوز حدود السياسة القومية، والتحرك نحو بناء نظام عالمي مبني على أساس إقامة حكومة فيدرالية تتخطى الحدود القومية".

ونتيجة التطورات التي أحدثتها الثورة التكنولوجية والمواصلات والاتصالات ابتداء من أواخر الثمانيات[٨]، والتي تزامنت مع ظهور شبكة الأنترنت (World, Wide, Web) (www)، والتحضير لتحرير حركات السلع ورؤوس الأموال في أوروبا، وكذا سقوط جدار برلين، تم رسم خارطة سياسية معاصرة للهيمنة على العالم.

المطلب الثاني : البعد المفاهيمي للعولمة

إن العولمة وبغض النظر عن التيارات التي تمثلها هي في أحدى معانيها عند الباحثين تعني تداخل واندماج الاقتصاد والسياسة والاجتماع والثقافة والسلوك والأموال والأسواق والقوى العاملة والتقنية ضمن إطار عالمي لا يعترف بسيادة الدول وحدودها وخصوصيات المجتمعات الإنسانية وهويتها الثقافية[٩] ويؤكد المتحمسون لها أن العولمة شاملة وسريعة وواسعة النطاق وغدت تفرض قواعدها على الجميع دون أن تترك لهم حرية الاختيار. وشموليتها نابعة من سعيها لجعل كل شيء خاضعاً للسلعة.. وسرعتها تتجلى من خلال الحركة الإلكترونية التي تتدفق منها معلومات ومعرفة عبر أجهزة الكمبيوتر والستلايت والانترنيت. وهي في الوقت نفسه تتسع لتمتد الى

---

[٨] ممدوح محمود منصور: العولمة دراسة في المفهوم والظاهرة والأبعاد، درا الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٣، ص ١٤.

[٩] محمد الاطرش، العرب والعولمة: ما العمل، تحرير اسامة امين الخولي، العرب والعولمة، (ندوة فكرية)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٨، ص٤١٣، عن عصام فاهم العامري، الثقافة والديمقراطية في مواجهة العولمة، شؤون الاوسط، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق العدد ٨٨، بيروت، تشرين الاول ١٩٩٩، ص٨ .

(١٩٣) دولة خالقة بذلك حضارة عالمية واحدة من خلال ما تعرضه من إحكام وقواعد متجانسة فأنها تتجاهل الظروف الخاصة لأي دولة أو مجتمع ، متناسية بذلك تمايز الهويات الثقافية والحضارية للشعب[١٠] أما الباحث برهان غليون فأن رؤيته المفاهيمية عن العولمة تتحدد بكونها حالة (ديناميكية جديدة تبرز داخل دائرة العلاقات الدولية والمكتسبات التقنية، والعلمية للحضارة.. يتزايد فيها دور العامل الخارجي في تحديد مصير الأطراف الوطنية المكونة لهذه الدائرة المندمجة وبالتالي لهوامشها أيضاً)[١١].

في الوقت الذي يذهب فيه محمد عابد الجابري ليرى أن العولمة (الى جانب أنها تعكس مظهراً أساساً من مظاهر التطور الحضاري الذي يشهده عصرنا، هي أيضاً إيديولوجياً تعبر وبصورة مباشرة عن إدارة الهيمنة على العالم وامركته)[١٢]. أما (روبرت رايخ) فأن العولمة عنده تعني (اندماج أسواق العالم في حقول التجارة والاستثمارات المباشرة وانتقال رؤوس الأموال والقوى والثقافات والتقاءه ضمن إطار من رأسمالية حرية الأسواق وبالتالي خضوع العالم لقوى السوق العالمية مما يؤدي الى اختراق الحدود القومية والى الانحسار الكبير في سيادة الدولة، وأن العنصر الأساس في هذه الظاهرة هي الشركات الرأسمالية الضخمة متخطية القوميات)[١٣].

هذا وقد كثرت الأراء حول المعنى الحقيقي للعولمة حتى من الصعب إيجاد تعريفاً جامعاً يحوي جميع التعريفات وذلك للغموض الذي يحيطها، ولاختلاف وجهات الباحثين فنجد للاقتصاديين تعريف، وللسياسيين تعريف، وللاجتماعيين تعريف آخر وهكذا،

---

[١٠] المصدر نفسه .

[١١] نايف علي عبيد: العولمة والعرب، مجلة المستقبل العربي، بيروت، العدد ٢٢، تموز ١٩٩٧، ص٣٣ . عن د.عبد اللطيف المياح، مصدر سابق، ص٤ .

[١٢] محمد عابد الجابري، العرب والعولمة ، في اسامة امين الخولي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط ١، ١٩٩٨، ص٢٩٨ عن د. عبد اللطيف المياح، مصدر سابق .

[١٣] محمد الاطرش، العرب والعولمة، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، عدد ٩٢٩، ١٩٩٨، ص١٠١ عن د. لطيف كريم محمد العبيدي، العولمة في الفكر السياسي المعاصر، مجلة دراسات وبحوث الوطن العربي، مصدر سابق، ص٥٢.

وإجمالا يمكن تقسيم هذه التعريفات إلى ثلاثة أنواع: ظاهرة اقتصادية، وهيمنة أمريكية، وثورة اجتماعية[١٤].

١. العولمة ظاهرة إقتصادية :

ويعنى بها التعاون الاقتصادي المتنامي لمجموع دول العالم كما عرفها الصندوق الدولي والذي يحتّمه ازدياد حجم التعامل بالسلع والخدمات وتنوعها عبر الحدود إضافة إلى رؤوس الأموال الدولية والإنتشار المتسارع للتقنية في أرجاء العالم كله[١٥].

وعرفها "روبرت ريكابيرو" الأمين العام لمؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والنمو–بأنها: "العملية التي تملي على المنتجين والمستثمرين التصرف وكأن الاقتصاد العالمي يتكون من سوق واحدة ومنطقة إنتاج واحدة مقسمة إلى مناطق اقتصادية وليس إلى اقتصاديات وطنية مرتبطة بعلاقات تجارية وإستثمارية[١٦].

ويؤكد محمد الأطرش تلك الحقيقة (العولمة كظاهرة إقتصادية) بقوله: إنها بشكل عام تعني اندماج أسواق العالم في حقول التجارة والاستثمارات المباشرة، وانتقال الأموال والقوى العاملة والثقافات والتقانة ضمن إطار من رأسمالية حرية الأسواق، وتاليا خضوع العالم لقوى السوق العالمية، مما يؤدي إلى اختراق الحدود القومية وإلى الانحسار الكبير في سيادة الدولة، وأن العنصر الأساسي في هذه الظاهرة هي الشركات الرأسمالية الضخمة متخطية القوميات[١٧]. بهذا التعريف للعولمة ركز على أن العولمة تكون في النواحي التجارية والاقتصادية التي تجاوزت حدود الدولة مما يتضمن زوال سيادة الدولة؛ حيث أن كل عامل من عوامل الإنتاج تقريباً ينتقل بدون جهد من إجراءات تصدير واستيراد أو حواجز جمركية، فهي سوق عولمة واحدة لا أحد يسيطر عليها كشبكة الإنترنت العالمية.

---

[١٤] مبارك عامر بقنه ، مفهوم العولمة ونشأتها ، موقع صيد الفوائد .

[١٥] العولمة عالم ثالث على أبواب قرن جديد "، عمرو عبد الكريم ، المنار الجديد . العدد الثالث.

[١٦] العولمة بوابة للرفاه أم الفقر ؟ عبد اللطيف جابر، الشرق الأوسط ، العدد (٧٤٦٠).

[١٧] العرب والعولمة : ما العمل ؟ مجلة (فكر ونقد) ، العدد السابع .

وعند صادق العظم هي: "حقبة التحول الرأسمالي العميق للإنسانية جمعاء في ظل هيمنة دول المركز وبقيادتها وتحت سيطرتها، وفي ظل سيادة نظام عالمي للتبادل غير المتكافئ[١٨].

٢ . الهيمنة الأمريكية

يعبر المفكر الأمريكي "فرانسيس فوكوياما" صاحب كتاب "نهاية التاريخ" عن هذا الاتجاه فهو يرى أن نهاية الحرب الباردة تمثل المحصلة النهائية للمعركة الإيديولوجية التي بدأت بعد الحرب العالمية الثانية بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية وهي الحقبة التي تم فيها هيمنة التكنولوجيا الأمريكية.

٣ . ثورة إجتماعية

يذهب الاجتماعي "جيمس روزناو" مبينا بالقول: "العولمة علاقة بين مستويات متعددة للتحليل–الاقتصاد، السياسة، الثقافة، الايديولوجيا، وتشمل إعادة تنظيم الإنتاج، تداخل الصناعات عبر الحدود، انتشار أسواق التمويل، تماثل السلع المستهلكة لمختلف الدول، نتائج الصراع بين المجموعات المهاجرة والمجموعات المقيمة"[١٩]. وعرفها بعضهم بأنها: "الاتجاه المتنامي الذي يصبح به العالم نسبياً كرة اجتماعية بلا حدود . أي أن الحدود الجغرافية لا يعتبر بها حيث يصبح العالم أكثر اتصالاً مما يجعل الحياة الإجتماعية متداخلة بين الأمم .

فهو يرى أن العولمة شكل جديد من أشكال النشاط، فهي امتداد طبيعي لانسياب المعارف ويسر تداولها تم فيه الانتقال بشكل حاسم من الرأسمالية الصناعية إلى المفهوم ما بعد الصناعي للعلاقات الصناعية.

وهناك من يعرفها بأنها: "زيادة درجة الارتباط المتبادل بين المجتمعات الإنسانية من خلال عمليات انتقال السلع ورؤوس الأموال وتقنيات الإنتاج والأشخاص والمعلومات". وعرفها إسماعيل صبري تعريفاً شاملاً فقال: "هي التداخل الواضح لأمور

[١٨] السيد يسن، في مفهوم العولمة.

[١٩] المصدر نفسه.

الاقتصاد والسياسة والثقافة والسلوك دون اعتداد يذكر بالحدود السياسية للدول ذات سيادة أو انتماء إلى وطن محدد أو لدولة معينة ودون الحاجة إلى إجراءات حكومية[٢٠].

وبعد قراءة هذه التعريفات، يمكن أن يقال في تعريف العولمة: أنها صياغة إيديولوجية للحضارة الغربية من فكر وثقافة واقتصاد وسياسة للسيطرة على العالم أجمع باستخدام الوسائل الإعلامية، والشركات الرأسمالية الكبرى لتطبيق هذه الحضارة وتعميمها على العالم.

المطلب الثالث: المنطلقات الفكرية للعولمة

الفرع الأول: أهداف العولمة

أن المتتبع لطبيعة العولمة يمكن أن يستنبط منها أو يلمس من أهدافها على سبيل المثال ما يأتي[٢١]:

أ . إعادة تفكيك النظم السياسية والاقتصادية، من الدولة الى المنظمات الإقليمية التقليدية، لخلق عالم جديد ، تضع فيه سيادة الدولة وتغيب فيه هويتها القومية والوطنية بنفس الوقت الذي تعزز فيه سلطة وأهمية الدولة المركز[٢٢].

ب. سيطرة اقتصادية لرأس المال النقدي وتعظيم دور المراكز المالية (بورصة بنوك) شركات ائتمان.. الخ لتدمير رأس المال الإنتاجي، من خلال سيادة قطاع الاستهلاك والسياحة والخدمات واقتصاديات المعلومات.

ج. فرض نمط سياسي يمكن تسميته بأمركة النظم السياسية في آلية مؤسسة النظام لأداء وظائف التبعية وفق معطيات العولمة.

---

[٢٠] عمرو عبد الكريم ، العولمة عالم ثالث على أبواب قرن جديد ، المنار .

[٢١] د. عبد اللطيف المياح ، مصدر سابق ، ص ٧.

[٢٢] أحمد إبراهيم، الثورة والدولة، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، سلسلة كتاب الزحف الأخضر رقم ١٠، ط ١، بيروت ، ١٩٨٢، ص ٧٥ . عن د. عبد اللطيف المياح، مصدر سابق .

الفرع الثاني : مظاهر العولمة

تتميز أبرز مظاهر العولمة بما يأتي[٢٣]:

أ.النمو الكبير لحركة التجارة الدولية في السلع عموماً وفي الخدمات خصوصاً.

ب. تدفقات رؤوس الأموال عبر الحدود الوطنية، سواء أكان ذلك التدفق لأغراض الاستثمار العيني في إنشاء المصانع أو تنمية زراعية أو كان لأغراض الاستثمار المالي والاستثمارات الحافظة كما تسمى والذي يمتاز بطابعه قصير الأجل والمضاربة.

ج. زيادة ملموسة في درجة تحرير الأسواق الوطنية ودرجة انفتاح الاقتصادات الوطنية بعضها على بعض .

د. بروز مؤثر لمؤسسات تملك من القوة والنفوذ في الاقتصاد العالمي الشيء الكبير، وهي الشركة المتعددة الجنسيات.

هـ. فضلاً عن هيمنة الشركات المتعددة الجنسية ظهرت مؤسسات أخرى رديفة، مثلاً مؤسسات صندوق النقد الدولي والبنك الدولي وهي قائمة، وقد اكتسبت قدرة متعاظمة على توجيه الأمور في الاقتصاد العالمي.

و. طرأ تغيير أيضاً في طريقة تدفق الأفكار والمعلومات عبر الحدود الوطنية فكثير من الدول عمد الى إزالة الحواجز أمام تدفق المعلومات والأفكار والأخبار طوعاً أو كرهاً.

ز. انتشار أنماط معينة من الاستهلاك والثقافة الشعبية السائدة في الدول الغربية عموماً والولايات المتحدة خصوصاً.. ويرى البعض في هذا الانتشار نوعاً من الاجتياح الثقافي والعبث بهوية بلدان العالم الثالث.

---

[٢٣] إبراهيم العيسوي، العولمة والتنمية العربية (العرب والتحديات الإقتصادية العالمية)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١، ١٩٩٩، ص ص ٧٩ – ٨٢ .

ح. إضافة الى كل ذلك ثمة تغيرات مصاحبة على الصعد السياسية والعسكرية والاقتصادية.. فهناك مثلاً تعاظم الدور الذي تلعبه الولايات المتحدة الأمريكية، لدرجة أن البعض يطلق على العولمة مصطلح (امركة العالم) أو يرى انفراد قوة واحدة بتصريف أمور العالم، بما في ذلك توجيه الأمم المتحدة، بحيث أن البعض أصبح يخلط بين الأمم المتحدة والولايات المتحدة.

ط. تزايد الإدراك بوجود مشكلات عالمية الطابع ساهمت الولايات المتحدة الأمريكية في صناعتها مما يتطلب إلى معالجة دولية مشتركة، مثل مشكلات البيئة، الطاقة، نزع السلاح، ضبط التسليح، الى آخر هذه القائمة.

ي. ظهر تقلص في سلطة الدولة الوطنية وصار ثمة إحساس بانكماش قدرة هذه الدولة على تسيير الأمور داخل حدودها.

ك. من مظاهر العولمة أيضاً انتشار مجموعة من الأفكار الداعية الى الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان ويبشر البعض بأن هذه هي القيم الجديدة التي ستسود في العالم ويحترمها الجميع.

الفرع الثالث: أشكال العولمة

أن الأشكال الواضحة للعولمة في الوقت الحاضر لا تنفصل عن الأهداف الأمريكية على المستوى الاستراتيجي الكوني في الميادين الاقتصادية والسياسية والثقافية، ومن هذه الأشكال[٢٤]:

أ.العولمة الاقتصادية: وتعني التحول نحو اقتصاد السوق ومنع الدولة من التدخل في النشاطات الاقتصادية ورفع الحواجز والحدود من أمام الحركة وانتقال رأس المال، وتحرير التجارة العالمية وإزالة القيود الكمركية عنها وغيرها من مفاهيم وآليات النظام الرأسمالي وتعتبر الشركات متعددة الجنسيات من أهم

[٢٤] د. حسين علوان ،العولمة التثقيفية والثقافة العربية ، مجلة دراسات وبحوث الوطن العربي ، مصدر سابق ، ص ٩٤.

مؤسسات الرأسمال الدولي التي ترعى هذه الإتجاهات وتعمم التحول العالمي باتجاهه عن طريق شروط المساعدة[٢٥].

ب. العولمة السياسية: وتعني نشر وتعميم مفاهيم الديمقراطية الليبرالية وما يتبعه من رفض وإنهاء السلطوية والشمولية في الحكم وتبني التعددية السياسية والالتزام باحترام حقوق الإنسان وكذلك استخدام الأمم المتحدة لحماية حقوق الإنسان في العالم والحماية للأقليات والتدخل الدولي الإنساني وغيرها من آليات ما يعرف بالنظام الدولي الجديد[٢٦].

ج. العولمة الثقافية: وتعني إشاعة قيم ومبادئ ومعايير الثقافة الأمريكية والنموذج الأمريكي وجعله أنموذجاً كونياً، يتوجب تبنيه وتقليده. وقد استفادت من التطور الهائل السريع الحاصل في وسائل أجهزة الإعلام والتقنيات العلمية والمعرفية في نقل وتقديم هذا النموذج الى المجتمعات الأخرى[٢٧].

المبحث الثاني: تحديات ومحددات العولمة

المطلب الأول: تحديات العولمة حيال الأمة العربية

تشكل العولمة بصفاتها الظاهرة تحديات حيال الأمة العربية وهنا تبرز طروحات أربع[٢٨] تتمثل بما يأتي :

أ. العولمة والصراع الصهيوني: من الواضح أن للصهيونية العالمية دوراً في عملية العولمة لخدمة مصالحها السياسية والاقتصادية خاصة تلك المتعلقة بالمشروع الصهيوني في وطننا العربي الكبير وفي العالم الثالث وقد أشار

---

[٢٥] د. حميد الجميلي، أوهام التنمية العربية صورة الإختلالات في هيكل الإنتاج وتركيب التجارة الخارجية، مجلة شؤون سياسية، العدد الأول، السنة الأولى، بيت الحكمة–بغداد، ك٢، ١٩٩٤، ص ٨٠. عن د. حسين علوان ، مصدر سابق .

[٢٦] السيد يسن، في مفهوم العولمة، مجلة المستقبل العربي، العدد ٢٢٨، بيروت، ك٢ ١٩٩٨. عن د. حسين علوان، مصدر سابق.

[٢٧] د. عبد الستار الراوي، العولمة والفردوس الموعود وجحيم الواقع، مجلة الموقف الثقافي، العدد (١٠) السنة الثانية، وزارة الثقافة والإعلام –بغداد ١٩٩٧، ص ٣٢، عن د حسين علوان، المصدر نفسه، ص ص٩٤ – ٩٥.

[٢٨] د. غسان حداد، الأمة العربية في مواجهة تحديات القرن الحادي والعشرين، نشرة العرب والمستقبل، مركز دراسات وبحوث الوطن العربي، العدد الأول، الجامعة المستنصرية – بغداد، ك١، ١٩٩٩.

البيان الختامي للقمة الثامنة عشرة لدول حركة عدم الانحياز (التي انعقدت في دربان في جنوب أفريقيا) والصادر في ٤ أيلول ١٩٩٨ الى الصعوبات التي تجلبها العولمة للدول النامية .

ب. العولمة والعمل العربي المشترك: قد بات واضحاً كل الوضوح أن عملية العولمة تمثل نقيضاً للعمل العربي المشترك لأنها تسعى لانفتاح اقتصادي غير محدود التجارة من كافة القيود المالية على كافة دول العالم، وأسواقه وتحرير التجارة من كافة القيود المالية على حساب حرية وسيادة حكومات العالم منفردة دون الأخذ بعين الاعتبار أن الوطن العربي يشكل وحدة اقتصادية متكاملة عملت الدول الرأسمالية على تجزئتها خلال العقود السابقة كي لا تكون قوة منافسة للتكتلات الاقتصادية الدولية الكبرى وقاومت الدول الأجنبية كافة محاولات التوحيد والوحدة عبر تاريخها الحديث والمعاصر وتآمرت على كافة محاولاتنا الوحدوية خلال النصف الثاني من القرن العشرين ولابد هنا من الإشارة الى أن منظمة التجارة العالمية (W. T. O) قد شكلت آلية جديدة من آليات العولمة الى جانب البنك الدولي وصندوق النقد الدولي تحاصر العمل الاقتصادي العربي المشترك لحساب اطر إقليمية في المنطقة تضم الى جانب بعض الأقطار العربية الكيان الصهيوني ودول أخرى غير عربية ولعل قراءة متأنية لما كتبه الكتاب الصهاينة تسلط الأضواء على الأهداف البعيدة للصهيونية العالمية التي تسعى لتحقيقها عبر هذه الاطر الإقليمية والدولية.

ج. النفط والعولمة: كان النفط من أبرز وأقدم القطاعات التي نمت فيها جوانب أساسية من عملية العولمة من خلال عولمة شركات متعددة الجنسية عاملة في قطاع النفط والطاقة. وقد كان النفط العربي من أهم المصادر التي هيمنت عليها تلك الشركات فعولمة قطاع النفط العربي وجعلته غريباً عن الاقتصاديات العربية ومندمجاً في الاقتصاديات الرأسمالية المتقدمة سواء ما

عرف باسم الكارتل النفطي والمتميزات القديمة أو من خلال عقود المشاركة والمقاولة.. ومن المعلوم أن إنتاج الوطن العربي من النفط شكل دائماً نسبة هامة من مجمل الإنتاج العالمي .

د. المياه والعولمة: يعد تحدي المياه من أهم التحديات التي ستواجهها أمتنا في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، فالسدود والمشاريع المائية والكهرومائية التي تقيمها تركيا على نهري دجلة والفرات مخالفة فيها القوانين والأعراف الدولية تلحق أفدح الخسائر بالقطرين العربيين سوريا والعراق وبالمصالح الاقتصادية عامة والزراعية خاصة لنهري القطرين وبعمق من هذه المخاطر التعاون التركي – الصهيوني في هذا المضمار . كما أن التنسيق الصهيوني مع عدد من الحكومات الأفريقية المجاورة لمصر والسودان التي ينبع منها نهر النيل وروافده وخاصة أثيوبيا تهدد المصالح المستقبلية لنهري القطريين العربيين وكذلك الأمر بالنسبة للتهديد الصهيوني بالنسبة للمياه اللبنانية والتهديد السنغالي للمياه الموريتانية.

المطلب الثاني: العولمة.. التحديات والإستجابة

الفرع الأول: مخاطر العولمة على الأمة العربية

عن مخاطر العولمة على الأمة العربية ، هناك مخاطر مباشرة ومخاطر استراتيجية وعن هذه المخاطر باتجاهيها يجيب الدكتور الطيب تيزيني[*] بالقول (يتوجه النظام العالمي الراهن نحو إعادة بناء العالم المعاصر ومن موقع التمكين لثقافة كونية واحدة ، هي ثقافة السوق ولواحقها من منظومات قيمية واجتماعية وثقافية وهذا بدوره ينطوي على اتجاه الاختراق للأمة العربية وبشكل خاص لهويتها، ويمكن أن يضاف الى ذلك أن مخاطر العولمة تكمن في استبدال الهويات الوطنية والقومية بهويات أخرى ذات نمط إقليمي أو جيوسياسي)[٢٩].

[*] مفكر سوري من أنصار الفكر الماركسي يعتمد على الجدلية التاريخية في مشروعه الفلسفي.

[٢٩] د. الطيب تيزيني، في حوار حول العولمة والماركسية والفكر العربي المعاصر، صحيفة الدستور، ١٢ ت ١ ١٩٩٨، ص ٣٤.

وعن المخاطر الاستراتيجية يستطرد فيقول (الوجه الآخر من المسألة يقوم على أن للعولمة أهدافاً استراتيجية كبرى في العالم قد يكون في طليعتها تذويب الشعوب برمتها في بوتقة ثقافية عولمية يكرس نظام العولمة من مواقعها ذاتها، أعني بذلك عملية التكريس هذه يمكن أن تأخذ صيغة لدعوة الى الاندماج في النظام العولمي بوصفه، كما يقال أفضل الأشياء المحتملة)[٣٠].

وعن خطورة الغزو الثقافي الذي تستهدفه العولمة فأنه ونظراً (لدخول العالم عصر ثورة الاتصالات.. فأن الأخطار تدخل مرحلة جديدة من التعقيدات فلن تعد محاولات الهيمنة الثقافية تأخذ طابع التسلسل الثقافي، بل وبالنسبة للوطن العربي فقد أخذ يتعرض لغزو، أن معظم أقطار الوطن العربي مستوردة ومستهلكة لما تبثه وكالات الأنباء العالمية ومراكز إنتاج البرامج التلفزيونية في الدول المتقدمة لم يعد هناك دور للأقطار العربية في الرقابة والأشراف على البرامج التلفزيونية التي تغزوها الآن من خلال البث التلفزيوني المباشر عبر الأقمار الصناعية)[٣١].

الفرع الثاني : العولمة والتحرر

أن السؤال الذي يطرح نفسه الآن الى أي مدى يمكن اعتبار العولمة ظاهرة تحررية[٣٢]؟ بمعنى هل تدفع حقاً باتجاه مزيد من الحرية؟ ولقد سمعنا ما يكفي عن أن العولمة ستحرر الإنسان من قهر الدولة وتمنحه حقوقه، وكذلك ستحرر المرأة من سيطرة الرجل وستنشر العقلانية والموضوعية.. الخ.

والواقع أن كل الصفات الجديدة الآن تستخدم في الترويج للعولمة : تحرر من النظام تحرر من الرقابة الدولية القومية الى أفق الإنسانية الواسع، تحرر من النظام التخطيطي الآمر الى نظام السوق الحر، تحرر من الولاء لثقافة ضيقة متعصبة الى ثقافة

---

[٣٠] المصدر نفسه .

[٣١] كمال رفيق الجراح، الثقافة العربية وتحديات العصر ، مجلة دراسات إجتماعية، العدد الثاني، بيت الحكمة – بغداد، حزيران ١٩٩٩، ص ٤٠.

[٣٢] د. جلال أمين، العرب والعولمة، العرب والتحديات الإقتصادية العالمية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٩، ص ص ٧٥ – ٧٦ .

عالمية واحدة يتساوى فيها الناس والأمم. تحرر من التعصب الايديولوجي، تحرر من كل صور العقلانية لصالح العالم والتكنولوجيا. هكذا تصور لنا العولمة، ومن ثم فقد اقترن الحديث عنها بأشياء كثيرة براقة تجذب العقل. صحيح أن العالم سيكون جميلاً لو كان هذا كله صحيحاً!! ولكن الحقيقة – للأسف هي عكس ذلك بالضبط، ولعل ما يساعد على تصديق كل هذه الشعارات، وتدعيم هذا الخطأ الفاحش في النظر الى العولمة، أن مصطلح العولمة نفسه هو مصطلح عائم ، فاللفظ لا يفصح عن المحتوى! والكلام يجري عن العولمة دون أن يثار السؤال عما تجري عولمته بالضبط! أن العالم ينفتح بعضه على بعض وفي عصر العولمة تزداد سرعة النقل والمواصلات، وتتسع السوق، وتزول الحواجز أمام السلع والخدمات ولكن لا أحد يبدو أنه يعني كثيراً بالسوق عن طبيعة هذه السلع والخدمات التي أصبحت تنتقل بهذه السرعة.

وعن نوع المعلومات والأفكار التي يجري بثها بهذه السهولة والكفاءة! كلنا مفتونون بأن الخبر في الـــ(CNN) يرد في لحظة وقوعه، لكن لا أحد يسأل أي الأخبار التي يتم نقلها الى المشاة؟ وبأي صورة من الصور. وبأي إلحاح ؟ وما الذي يحجب عنه؟ وأي تحليل يعطيه؟

ومن الناس الذين يتم استجوابهم في هذه الشبكات كيف يمكن أن نتيقن بالسرعة والكمية الى هذه الدرجة دون أن نفطن الى طبيعة الأشياء التي يجري بثها وتوصيلها؟ صحيح أن التقدم التكنولوجي يخالب اللب ويخطف الأبصار ولكن التكنولوجيا في إحدى معانيها هي طريقة الإنتاج بمعنى كيف تصنع الأشياء ؟ لكن لا أحد يسأل عن ما أهمية الأشياء التي يجري صنعها، وينصب الحماس مرة أخرى على زيادة الكمية والسرعة دون أن نفحص الشيء نفسه الذي يجري إنتاجه في ظل العولمة ولعل من حقنا أن نسأل: كيف سيكون موقفنا لو أدركنا واقتنعنا بأن هذا الذي يجري عولمته ليس إلا سلعاً وخدمات بعينها ذات طبيعة وخصائص معينة افرزتها ثقافة معينة، وأنه لا يترتب على أي التزام غير قانوني ، ولا ديني ولا أخلاقي ولا فني لقبول هذه السلع والخدمات والثقافات بالذات. لنأخذ الحرية مثلاً لنسأل: أية حرية بالضبط التي يروج لها؟ صحيح أن الكلام يدور حول أن العولمة تجلب حرية وديمقراطية وحقوق إنسان لكن أي حرية

بالضبط تلك التي نوعد بها لو تحررنا من رقابة الدولة ؟ أليست هي بالضبط تلك التي نوعد بها لو تحررنا من رقابة الدولة ؟ أليست هي بالضبط التي يصفها (جورج اورويل) في إحدى رواياته؟ وأي موشر يدلني على أن الحرية التي أتمتع بها في ظل سطوة الشركات متعددة الجنسيات أكبر وأوسع مما كنت أتمتع به في ظل سطوة الدولة؟ هل أنا بحاجة الى التذكير بما تفعله وسائل الإعلام الحديثة بحرية الرأي والتفكير . أنهم يضعون لك ما يريدون أن تفكر فيه، لا ما يتوجب أن تفكر فيه فعلاً . فأي حرية هذه؟ ثم ما هو الناتج العظيم في أن نستبدل تخطيط الدولة بتخطيط الشركات المتعددة الجنسية؟ وهل يمكن أن نتصور أن شركة تنتج للعالم كله؟ وتشتري سلعاً وخدمات ومنتجات من بلد لكي تنتجها في بلد آخر يمكن أن تخطط لنا وفق مصالحنا.

الفرع الثالث: حدود العولمة ومحدداتها[٣٣]

أ. أن المظاهر التي تم الإشارة إليها ما هي في الواقع إلا عمليات تطوير في النظام الرأسمالي العالمي. فهي لا تتم في فراغ . وإنما تجري في إطار نظام اقتصادي محدد كتب له ((الانتصار)) المؤقت بعد انهيار الاتحاد السوفيتي والكتلة الاشتراكية، وبعد تراجع كثير من الدول النامية عن التوجهات الاشتراكية أو شبه الاشتراكية وقد اعتبر عدد من المفكرين ظاهرة العولمة بأنها آخر أدوار النظام الرأسمالي بعد الإمبريالية أو ظاهرة التحول الرأسمالي العميق في العالم. وحيث أن هنالك أساليب عديدة في عمل الرأسمالية بفضل التقدم العلمي والتكنولوجي، ومن ذلك بروز ظاهرة تعميق عملية التكامل على الصعيد الدولي من خلال النظام الجديد للعمليات الإنتاجية فكل هذا يؤكد أن هناك عمليات تتم بسياق اجتماعي محدد وفي إطار نظام معين.

[٣٣] د. إبراهيم العيسوي، العرب والتنمية العربية، العرب والتحديات الإقتصادية العالمية، مصدر سابق، ص ص ٨٣–٨٥.

ب. لا شك أن وراء تلك المظاهر، وما نلاحظه في كل هذه العمليات تطوراً في قوى الإنتاج الذي بدأ بتطور علمي وتكنولوجي، وتبعه تطور في علاقات الإنتاج. ولعل البعض أخذ يرى أن العولمة أصبحت حتمية جراء التطوير العلمي والتكنولوجي الكبير وحيث أننا لا نجادل بوجود مثل هذا التقدم الذي أحدث هذه التغيرات بطرق مختلفة، ولكن تحول هذه الإمكانية الى واقع كان متوقفاً على سياسات الدول وإرادتها، إضافة الى إرادة القوى الفاعلة الأخرى كالمنظمات الدولية.. وخلاصة القول هنا.. إذا كان لابد أن نميز بين الشرط الضروري للتحولات وهو التقدم العلمي والتكنولوجي، فلابد من شرط آخر يكمله ويجعل العولمة ممكنة ، وهو تدخل الدول بإرادتها وسياستها وتدخل القوى الفاعلة الأخرى ، وهذا هو في الواقع يمكن أن يعطينا مفتاح الإجابة عن السؤال هل العولمة قابلة للتغيير أم لا؟

ج. أن العلاقة بين التقدم التكنولوجي، وبين ذلك الوجه من العولمة المتمثل في سهولة حركة انتقال السلع والخدمات والمعلومات عبر الحدود الوطنية، ليست بالعلاقة البسيطة، بمعنى أن هذا التقدم لم يكن تقدماً عفوياً، فالتقدم العلمي كما تعلمون، لم يعد أمراً تلقائياً ، وإنما أصبح مخططاً تنفق عليه الحركات الكبرى مبالغ طائلة في مجال البحث والتطور التكنولوجي. ومن هنا فليس صدفة أن التقدم حدث في مجالات بعينها ولم يحدث في مجالات أخرى، كما هو الحال في مجال الاتصالات والمعلوماتية وتطوير أساليب الإنتاج، في حين لم يحدث مثل هذا التطور في مقاومة الأمراض ... أو في مقاومة الجوع في أفريقيا، وعليه فثمة توجيه مبرمج للتقدم العلمي والتكنولوجي الى مجالات تخدم مصالح هذا النظام الذي تتم في إطاره عمليات العولمة .

د. ظاهرة جزئية وإنتقائية، أن ظاهرة العولمة والعمليات المشار إليها ليست ظاهرة شاملة لكل شيء.. بل هي لم تزل الى حد كبير ظاهرة جزئية وانتقائية على الرغم من التقدم العلمي الذي يسر انتقال أي شيء..

إلا.. أنه يبقى عنصر الإرادة وعنصر السياسة وعنصر الإجراءات التي تتخذها الدول عوامل هامة.

الفرع الرابع :الإسلام والعولمة

بادئ ذي بدأ ونحن نبحث في موضوع (الإسلام والعولمة) وجب التفرقة أولاً بين العالمية والعولمة إذ يرى د. محمد عمارة وهو يتفق مع الكثير من المفكرين الإسلاميين في أن العالمية تمثل الأفق الإسلامي لأن الإسلام دعوة عالمية منذ المرحلة المكية وبالتالي فأن العالمية ليست غريبة عن الرؤية الإسلامية بل الرؤية الإسلامية نزاعة الى الرؤية العالمية انطلاقاً من أن الإسلام هو الرسالة الخاتمة والعالمية تمثل حضارات متعددة متميزة أي ليست متماثلة أو منفعلة معزولة ومعادية وإنما هناك نوع من الخصوص ونوع من التشابك. أما ما يفرض الآن باسم العولمة فليس عالمياً إنما هو رؤية غربية وإن ما يسمى بالعولمة إنما هو تسابق وتطور في أدوات الهيمنة والجديد في ذلك هو تقنين هذه الهيمنة[٣٤]. وفي عملية تفسير موضوعي عقلاني للعولمة، يسترسل د. عمارة بالقول: أنها ظاهرة إرادية ذاتية عنصرية ذات جذور تاريخية قديمة لهذا كان التميز بين عالمية فكرة نظرية أو رسالة دينية وبين عولمة واقع موضوعي اقتصادي واجتماعي وسياسي وثقافي وعلمي تقني!

وأنه برغم هذه العولمة الموضوعية فأنها تزخر بالتعددية والصراعات والخصوصيات الثقافية والقومية والمصالح المتناقضة داخل نمط إنتاجي سائد هو النمط الرأسمالي، ويسعى للمزيد من السيادة.

وأن هذه العولمة الموضوعية ليست هي الهيمنة وإنما الهيمنة استقطاب داخل العولمة يتمثل في كتلة من الدول الرأسمالية الكبرى وشركاتها الاحتكارية المتشابكة والمتنافسة معاً التي تقف اليوم على رأسها الولايات المتحدة الأمريكية[٣٥] وعلى هذا الأساس.. أن تحديد الأساس النظري للموقف الإسلامي أو الديني من العولمة.. يتضمن

[٣٤] د. محمد عمارة ، ندوة الهوية في زمن العولمة ، مصدر سابق ، ص ٣٠ .

[٣٥] د. محمد عمارة ، مصدر سابق ، ص ٣١ .

أمره من أنها (العولمة) نمط فكري غربي كامن في منظومة الاستنارة والفكر المادي والعلمانية التي تمثل دلالة سلبية ذات قيم مادية تنفي الخصوصية الإنسانية وتطرح رؤى تدور حول (السوق) أي حول القيمة التي جوهرها الإنسان الاقتصادي والإنسان الآلي وليس الإنسان من حيث إنسانيته[٣٦].

المبحث الثالث: الوعي الفكري والثقافي والتقدم العلمي آزاء العولمة

المطلب الأول: تباين الثقافة والصراع في عصر العولمة

الفرع الأول: الصراع الثقافي

كانت الثقافة ولا تزال أحد مظاهر الصراع بين الأمم والحضارات، وبينما اقتصرت الصراعات الثقافية ورؤى العالم في الماضي على التأثير والتأثر المتبادل عبر التجاور الجغرافي والسفر والتجارة، ومن ثم عبر الحروب التي تفرض في نتيجتها ثقافة الغالب وطرائقه في العيش عبر آلية التقليد والمحاكاة التي أجاد العلامة (أبن خلدون) في تفسيرها، وبقيت العوامل العسكرية والاقتصادية القائمة على استعمال القوة المادية هي الحاسمة في إخضاع الآخرين وفرض شروط المنتصرين عليهم ، نشهد اليوم تحولاً جذرياً في أدوات وتقنيات إدارة الصراع سببه التطور الذي نشهده في ميدان إنتاج المعارف والأفكار والرموز والقيم[٣٧]، أي أن الصراع الثقافي قد انتقل من كونه عاملاً مساعداً ليصبح أبرز حقول الصراع المعاصرة. وما الحديث الذي يتردد اليوم عن (صِدام الحضارات كما قدمه هنتغتون) وتحدث فيه عن خطر الإسلام على الغرب، وما قابله من ردود الفعل والمواقف المتشنجة المفهومة والمبررة من الممارسات الغربية إلا مؤشرات على المكانة المهمة التي أخذ يتبؤاها بوصفه فعلاً كفاحياً ينتج يومياً أدواته واتباعه وخصوصاً في المناطق التي لم يفلح فيها الاستعمار التقليدي في الحصول على تسليم حضاري – ثقافي كاملين كما في اليابان والعالم العربي والصين والعديد من الدول الإسلامية وذلك بخلاف ما جرى في معظم أفريقيا وأمريكا الوسطى والجنوبية فضلاً من

---

[٣٦] د. عبدالوهاب المسيري ، مصدر سابق .

[٣٧] د. كريم أبو حلاوة، الآثار الثقافية للعولمة، عالم الفكر، المجلد ٢٩، العدد ٣، ٢٠٠١، ص ص ١٨٠– ١٨١.

أمريكا الشمالية التي نجح فيها الاستعمار الانكلو ساكسوني ومن ثم البرتغالي والإسباني والفرنسي. وتمكن من فسخ شخصيتها الحضارية وتوطين لغاته وثقافاته على حساب ثقافات وسكان البلاد الأصليين[٣٨]. ومع إدراكنا العميق لتلازم الإخضاع السياسي والاقتصادي مع الهيمنة الثقافية حيث لا فاصل حقيقي في سيرورة العولمة بين متغيرات الاقتصاد والسياسة وبين الثقافة والقيم الإنسانية إلا إننا نعتقد أن مفاعيل ثورة الاتصالات والضخ الإعلامي المتواصل المرافق لمجتمع المعلومات، قد جعل من محاولات الانغلاق والانكفاء الثقافي مجرد ردود فعل سلبية وغير فاعلة طالما بقي الواقع الراهن لعدم تكافؤ القوى القائمة[٣٩].

الفرع الثاني : أهمية الثقافة في عصر العولمة

خلافاً لما هو سائد في أوساط الرأي العام حول تراجع الاهتمام بقضايا الثقافة نتيجة لزخم التطور المادي والتقني وسرعة وتيرته وتعاقب منجزاته المذهلة ، فأن حقبة الثمانينات والتسعينات الذين مهدان لإطالة القرن الواحد والعشرين – هي حقبة خصبة بالمناقشات الثقافية شهدت طرحاً جاداً لدور الثقافة ومستقبلها بوصفها قضية قومية إنسانية حساسة من جهة، وقضية تتصل بالتنمية الشاملة من جهة أخرى وبسائر نشاطات الإنسان ومستقبله[٤٠]، وبالطريقة المنشودة لتعامله مع الثورة الاتصالية والمعلوماتية والتفجر التكنولوجي وهناك قاعدة مفادها – أن كل حقبة معينة من التأريخ ذات تميز مادي أو سياسي أو اجتماعي تصنع بالقصد أو بالطبيعة ثقافتها الخاصة، فالمجتمعات الحية بوجه خاص لا تعيش بلا ثقافة نوعية[٤١]. لذا يشهد العالم المعاصر مرحلة إعادة نظر جذرية في قضية الثقافة ، بل إعادة اعتبار لها من زاوية استراتيجيات المستقبل ولذلك أسباب عديدة تتعلق بهوية الإنسان وانتمائه وتكيفه وضرورة محافظته على إنسانيته وتماسكه الداخلي، وما الى ذلك تزداد الحاجة بوجه خاص الى توطيد الهوية

---

[٣٨] د. كريم أبو حلاوة ، مصدر سابق .

[٣٩] المصدر نفسه .

[٤٠] د. حسام الخطيب، أي أفق للثقافة العربية وآدائها في عصر الإتصال والعولمة، عالم الفكر، ص ٢٣١ .

[٤١] د. حسام الخطيب، مصدر سابق ، ص ص ٢٣١ – ٢٣٢ .

الثقافية للإنسان المعاصر نتيجة لطغيان التطور المادي وتحكمه في سلوك البشر وكذلك التطور الإداري والمحكم الذي يجعل مستلزمات منطق المؤسسة ونجاح وظيفتها فوق كل منطق فردي أو شخصي أو وجداني بل يجعل انتمائه الى إدارته أو شركته أو نوع عمله فوق كل انتماء[٤٢].

الفرع الثالث: الثقافة العربية

بالرغم من الظواهر السلبية التي تفتري الثقافة العربية من حيث العوائق الذاتية الراسخة في عقلية الأفراد وطبيعة تفكيرهم وضعف محاوراتهم وبعد الثقة بينهم وبين الجمهور إلا أن لابد من الاعتراف بحقيقة الشوط الذي قطعته الثقافة العربية في تعريف ذاتها وتحديد هويتها أو إثبات وجودها وصمودها في وجه المحاولات تجزئتها في عالم مضطرب في سياسته وفي سلوكياته الاجتماعية وتوجهاته الفكرية والثقافية التي يمكن له أن يضعف أي ثقافة ناشئة.. ولكن الثقافة العربية بفضل عوامل تاريخية وقومية ما زالت تقف على قدميها وتصارع عوامل تآكل ثقافية داخلية، وعوامل تفتيت من حولها[٤٣].. إلا أنه الى جانب ذلك يلاحظ أن معضلة الثقافة العربية تضرب جذورها في بنية المجتمع العربي وأصولها المتوارثة وتباين مستويات الوعي فيها لذا والأمر تلك حالته لابد من موقف متحدي يتضمن حضوراً حقيقياً للتفكير الموحد والفعل المشترك وعلى ضرورة الاعتراف بالآخر أياً كان شكله وانتماؤه الفرعي ضمن الحضارة العربية الواسعة لتتمكن من مجابهة التنافس العلمي الذي يفرض على الثقافة العربية من خلال الثقافات الأخرى لكي لا تبدو الأمة في موقف دفاع وتنازع وتخندق وتوجس بل وعجز عن أية فاعلية[٤٤].

---

[٤٢] المصدر نفسه ، ص ٢٣٢ .

[٤٣] مصدر سابق ، ص ٢٣٥.

[٤٤] المصدر نفسه ، ص ص ٢٣٥ – ٢٣٦.

المطلب الثاني : التقدم العلمي وصناعة الوعي

الفرع الأول : التقدم العلمي

لقد كان للعلم والثقافة أثراَ بارزاً في حياة الإنسان وتطوره على مر العصور فتدل التجربة على تقدم الأمم التي اعتمدت على العلم في بناء حضارتها وتخلف تلك التي لم تدرك أهميته ولقد شهد القرن العشرون تراكماً علمياً ضخماً شمل كل مناحي الحياة[٤٥] ولعل المنجزات الباهرة التي تحققت وتزداد تحققاً وتطويراً بفضل القوى الإنتاجية والعلمية والفكرية المبدعة والتي ما تزال تمتلكها وتحتكرها وتسيطر عليها قوى الهيمنة الرأسمالية وتوظفها لخدمة مصالحها أساساً[٤٦] لذا أن عصرنا الراهن هو بلا شك عصر العلم والعالم المعاصر هو عالم لم يعد يحترم سوى التفكير العلمي الذي ظهر زيف كل المعتقدات والتطورات القديمة، وحطم قدسية كل المسلمات والبديهيات العتيقة والبالية، أن أهم وأعظم سلاح في عالم اليوم هو سلاح العلم والحقائق والقيم العلمية وعالمنا اليوم أصبح يعتمد على العلم ويؤمن بالعلم كما لم يؤمن به في كل تاريخه السابق[٤٧].

الفرع الثاني: صناعة الوعي

أن الدور الاستراتيجي الذي ينبغي أن تقوم به النخبة في مجتمعها ، هو خلق الوعي وتعميم المعرفة في الوسط الاجتماعي، لأنه لا يمكن للمجتمع أن يمارس دوره ويقوم بواجباته ويتجاوز عقباته، وينتصر على مشاكله إلا بالوعي[٤٨]. فالوعي هو الذي يصنع المجتمع القادر على تحمل مسؤوليته والقيام بواجباته، لم يحدثنا التأريخ عن مجتمع جاهل لا يفقه واقعه ولا يدرك مسؤوليته، استطاع أن يصل الى تطلعاته أو حقق أهدافه.. الوعي هو الصفة الملازمة للمجتمع الحي المتجه صوب أهدافه بجد وحيوية

---

[٤٥] ميشو كاكو، رؤى مستقبلية، ترجمة د. سعد الدين خرفان، عالم المعرفة، العدد ٢٧٠، حزيران ٢٠٠١، ص ٢٦٦ .

[٤٦] محمود أمين العالم ، العولمة وخيارات المستقبل ، ندوة الهوية في زمن العولمة ، مصدر سابق ، ص ٢٣٧ .

[٤٧] المصدر نفسه .

[٤٨] محمد محفوظ ، الحضور والمثاقفة العربية وتحديات العولمة ، المركز الثقافي العربي ،٢٠٠١، ص ٥٦.

فالأفكار هي التي تصنع الشعوب والأمم لهذا كان دور النخبة يتجسد في صناعة الأفكار والرؤى التي تقود الى تنقية الخيارات الاجتماعية، وتحقق التطلع الحضاري[٤٩].

حيث النخبة (هي الفئة الاجتماعية التي تصوغ وعي الأمة وتقودها.. هي التي تتلقى مشاعر الأمة وآمالها النابعة من حاجاتها الراهنة والمستقبلية والمتأثرة بتاريخها وتراثها، تتلقاها وتحولها الى وعي، وتحول الوعي الى إرادة، وتحقق الإرادة في إنجازات، أن النخبة إذ تصوغ وعي الأمة تنقل كل ذلك من لا وعي الأمة الموضوعي الى حيز الوعي الذاتي.. والنخبة إذ تقود الأمة فهي تنقل نشاطها في المقابل من حيز العمل اليومي الغارق في الجزئيات الى مستوى العمل الإرادي الفاعل النابع من رؤية شمولية)[٥٠].

حقائق واستنتاجات

في الوقت الذي يشار فيه الى ان ظاهرة العولمة في اتجاهها الفكري تتجه في أن ((تتجاوز حدود الاقتصاد والمال الى الثقافة والفكر وكافة النشاطات الأخرى كالسياسة والعسكر وكل عناصر قوة الدولة والمجتمع.. وأنها.. تعمل باتجاهين هما))[٥١]:

أ. إضعاف العوامل المادية والمعنوية للشعوب على المستوى الوطني والقومي .

ب. تقوية الاتجاه للارتباط بثقافة العولمة والتي مركزها اتجاه واحد هو المركز الأمريكي[٥٢] في الوقت الذي يذهب إليه المبشرون والداعون الى عولمة العالم أو في حقيقة الأمر (امركته) والمتمثلة في السيطرة العالمية وقيادته وذلك عبر عمليات تصوير على أن (العولمة لم تترك حاجزاً بين دولة وأخرى إلا وهدمته،

---

[٤٩] محمد محفوظ ، مصدر سابق .

[٥٠] الفضل شلق، التحية العربية والقمع الذاتي، مجلة الإجتهاد العدد ٥، السنة الثانية، ١٩٨٩. عن محمد محفوظ، مصدر سابق؟

[٥١] د. لطيف كريم محمد العبيدي، مصدر سابق ، ص ٥٣ .

[٥٢] لمزيد من التفصيل، أنظر مطاع حفيدي، الأبعاد الدولية للعدوان على العراق، دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٩٣، ص ص ٢٦٦ – ٢٨٨.

أو أنها قضت على السيادة الوطنية للدول، وأنها أصبحت شيئاً عاماً يشمل الجميع)[٥٣].

فأن تلك رؤية لا تمت الى حقيقة الأمر في شيء أو أنها ((أبعد ما تكون عن الحقيقة.. حيث.. أن هذا ليس إلا عملاً من أعمال الدعاية التي تريد الرأسمالية المركزية من خلالها أن تثبت عقيدة السوق وأنموذج التطور الرأسمالي في النفوس قبل العقول.. وهنا نكون.. أمام معنى آخر للعولمة يقول بأنها ليست مجرد الظواهر التي وصفت وإنما تنطوي على معنى استهدافي في قوامه تقديم وصفة أو علاج أو أنموذج وهو ما يقصده البعض حين يقول بأن العولمة ليست ظاهرة فقط، وإنما هي أيديولوجية أو استراتيجية للتطور))[٥٤] وعلى هذا الأساس ولغرض وضع الأمور في موقعها الصحيح وفق رؤية دقيقة لا تشوبها شائبة ((فأن المنطق يقتضي أن تعيد أمريكا النظر في أنها.. تعتبر نفسها الربان الوحيد لسفينة العالم ، وأن عليها أن تسعى الى إشراك الدول النامية التي تمثل ٨٥ % من سكان العالم في تصميم الهيكل الجديد للنظام الاقتصادي العالمي))[٥٥].

الخاتمـــة

أن البديل الإيجابي في مواجهة الهيمنة الرأسمالية المعمولة هو التفتح العقلي والعلمي والنقدي والإبداعي على تنوع حقائق وخبرات الواقع والعصر ، وتنمية القدرة على امتلاك مفاتيحها امتلاكاً معرفياً وعلمياً والاجتهاد في تبيئتها والإضافة إليهما بحسب احتياجاتنا وخبراتنا الخاصة . ولا يتم هذا في فراغ ، وإنما بتحقيق مشروعات تنموية تصنيعية وبشرية من خلال أعمق مشاركة ديمقراطية جماهيرية لكل القوى الاجتماعية المنتجة والمبدعة فضلاً عن القوى السياسية الوطنية والديمقراطية على أنه لا سبيل لتحقيق أو نجاح أي مشروع تنموي أو وطني خاص في عصرنا بغير عمق قومي وإنساني عام، إضافة الى تعميق الهوية الثقافية والقومية التي تعد نقطة الارتكاز الأولى

---

[٥٣] د. إبراهيم العيسوي ، مصدر سابق ، ص ٨٦.

[٥٤] د. إبراهيم العيسوي ، مصدر سابق.

[٥٥] أإبراهيم دبدوب ، العولمة وأثرها على الأزمات الإقتصادية الراهنة في العالم ، ندوة الأزمات الإقتصادية الراهنة في العالم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، مؤسسة عبد الحميد ، الأردن ، ط ١ ، ١٩٩٨ ، ص ٢٢ .

لمواجهة الهيمنة الرأسمالية. وعليه فأن البعد القومي العربي يعتبر بعداً أساسياً في التخطيط لأي مشروع نهضوي يتواكب والتحديات التي تواجهه في المجالات الثقافية والفكرية ، وفي التقدم العلمي والتقني.

Conclusion

That the positive alternative in the face of the prevailing capitalist hegemony is the intellectual, scientific, critical and creative openness to the diversity of facts and experiences of reality and age, and the development of the ability to possess the keys of knowledge and scientific knowledge and diligence in their containment and addition to them according to our needs and our own experiences. This is not done in a vacuum, but rather through the realization of developmental and human development projects through the deepest participation of a mass democracy for all the productive and creative social forces as well as the national, democratic and progressive political forces in general. Public

In addition to deepening cultural and national identity, which is the first point of reference to confront capitalist hegemony. Accordingly, the Arab national dimension is considered as a fundamental dimension in the planning of any developmental project that meets the challenges facing it in the cultural and intellectual fields, and in the scientific and technical progress